المحاضرة السابعة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة الفلسفة

مقياس مشكلات فلسفة العلوم

ماستير 1 ف ع

مفهوم القطيعة الابستيمولوجيا عند قاستون باشلار

دعا باشلار إلى نوع من المراجعة العقلية النقدية لبعض المفاهيم التقليدية الموروثة عن الفلسفة

والمتعلقة بالمعرفة، ومن ثم فمن الواجب أن يظل العلم متأهبا لهذه المراجعة، مستعدا لمراجعة مبادئه التي أسس عليها قواعده، إذ ليس ثمة قوانين مطلقة أو حقيقة دائمة لأن المعرفة العلمية تتميز بخصائص لا تستوعبها المفاهيم التقليدية. فالحالة العلمية لبست تجريبية خالصة ، كما أنها لبست عقلية محضة. بل هي علاقة جدلية بين العقل والتجريب، علاقة جدلية تحول الواقع تحويلا نظريا، كما أنها تربط الممارسة النظرية بالمرحلة التاريخية التي يمر بها العلم، وبالمفاهيم الفلسفية والايديولوجية السائدة، وبعبارة أخرى ،تحاول تحويل الواقع من واقع مادي خام إلى تصورات معرفية عقلية،أو موضوعات معرفية تأخذ صورة صيغ رياضية وقوانين نظرية، ولذا لا يمكن ،في نظر باشلار، الفصل بين ما هو تجريبي وما هو عقلي. إن المعرفة بطبيعتها تجريبية وعقلية معا  
أهتم باشلار بالخيال العلمي والخيال الشعري الغني وهو ما يماه بالفلسفة المفتوحة، وهي فلسفة تتوسط المثالية التي تعلو عليها والواقعية التي من تحتها ، وهذه الفلسفة يطلق عليها باشلار أسماء مختلفة كالعقلانية التطبيقية والمادية التقنية، ويرى فيها أن الواقع الذي يدرسه العلم في تطوره هو واقع مصطنع، وهو ما يظهر واضحا في الميكرو فيزياء،وهو واقع مبني، لأن الواقع العلمي قد صار بنيات،ولهذا يجب النظر إلي الفلسفة العلمية بذاتها من دون استخدام أي افكار قبلية ذلك ان العلم هو أفكار مصححة باستمرار، تتحول كل فكرة إلى عقبة ابستيمولوحية، وهذه العقبات كثيرة كما ذكرناها سابقا باسم العوائق. وعلى فيلسوف العلم أن يرسم ما يسميه " الجانبية الابستيمولوجية ، وهو الوجه المعرفي الجانبي لمختلف الصيغ المفهومية لظاهرة ما، فتطور المعارف يحدث بالقفزات وتجاوز القفزات الابستيمولوجية أو ما يسميه باشلار بالقطيعة الابستيمولوجية.  
لقد حاول باشلار ان موقفا وسطا بين للعقلانية والوضعية التي يرى فيها نموذجا فلسفيا غير ميتافيزيقي،لكنه انتقد الوضعية المنطقية التي ترفض كل تمييز بين الظاهرة والوجود،وبرى أن وجود لموضوع آخر للمعرفة غير الموضوعات العينية الجزئية ( لا يوجد موضوع ميتافيزيقي للدراسة)  وإن التجربة هي أساس المعرفة، أما باشلار فيرى أن هذا الفصل تعسفي ويقترح فلسفة جديدة سماها " الواقعية"

إن الفكر العلمي مر بثورات مرحلية وأن أغلب هذه الثورات هي أزمات تدفع إلى ضرورة إعادة النظر بشكل جذري في النظرة الواقعية، بالإضافة إلى أن الفكر الواقعي لا يراجع نفسه بنفسه،بل يحدث ذلك بفعل مثيرات خارجية من ميدان " المُجرّد" ..أن منابع الفكر العلمي المعاصر تنتمي إلى مجال الرياضيات ( محمد وقيدي، فلسفة المعرفة عند قاستون باشلار، دار الطليعة، بيروت، ط1 1980. ص67).

إن مفهوم القطيعة جاء ليثور على مفهوم التراكمية والاتصالية في العلم ليقترح مبدأ الانفصالية التاريخية بين ثورات العلم، ويرى أن المعرفة تسير دائما في عقبات تحاول إذلالها وحتى يتسنى لها ذلك تكون القطيعة المعرفية، زمن ثم الانتقال إلى عقبة أخرى جديدة، وهكذا دواليك..( يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، بيروت ص، 445.

إن العائق هو مؤثر التحول والتجديد عندما يتم تجاوزه يتم بذلك الانتقال إلى مرحلة علمية جديدة.لكن هذا التحول لا يتم بطريقة آلية ميكانيكية،فقد تظل مشكلة علمية دون حل فترة زمنية ليست بالقصيرة، وقد يخطو العلم خطوة كبيرة في وقت وجيز  
يعلل باشلار ركود العلم بوجود مفاهيم علمية قديمة في اللاشعور هي التي تعطل البحث العلمي ( محمد وقيدي مرجع سابق،ص110. ينظر : قاستون باشلار تكوين العقل العلمي، ترجمة خليل أحمد خليل،المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت 1986 ط3 ص 16..26.  
***مراحل القطيعة***

أول مظاهر القطيعة تتجلى في أن النظريات العلمية المعاصرة أكثر شمولا، فهي تحتوي القديمة دون أن تنطلق منها كالهندسات اللاإقليدية الأكثر شمولا من هندسة إقليدس لأنها تقوم على أساس من المصادرات الجديدة، والأمر نفسه ينطبق على نسبية اينشتاين التي لا تعتبر،في نظر باشلار، منفصلة عن نظرية نيوتن الكلاسيكية، وليست استمرارا لها،فهي أشمل منها كما أن

نتائجها على الظواهر لا تأتي نتيجة تطبيق مبادئ ميكانيكا نيوتن على الظواهر.  
***المرحلة الأولى***

تمثل الحالة ما قبل العلمية ،مرحلة الأزمنة الكلاسيكية القديمة وعصر النهضة،يضاف إليه جهود القرنين 16 و17  حتى القرن 18 عشر.ويسميها باشلار الحالة الملموسة حيث ينتهي العقل بالصورة الأولى للظاهرة ويعتمد على أدبيات فلسفية تمجد الطبيعة وتعتني بوحدة العالم و تنوعه.

***المرحلة الثانية***

هي المرحلة العلمية التي أحدثت قطيعته مع المرحلة السابقة وتبدأ من أواخر القرن 18 وتشمل القرن 19 ومطلع القرن 20 ، وهي المرحلة الملموسة. ، وفيها يضيف العقل إلى التجربة الفيزيائية الرسومَ الهندسية ويستند الى فلسفة البساطة.  
***المرحلة الثالثة***

هي مرحلة العقل العلمي الجديد. وتبدأ من 1905 مع نظرية النسبية التي بدلت مفاهيم أولية لم يكن يشكك فيها العقل العلمي..